الأستاذة: فريال تواتي

المادة: السرد السير ذاتي.

الفئة المستهدفة: سنة ثانية ماستر (تخصص أدب حديث ومعاصر).

المحاضرة11: المكون السير ذاتي في الرواية العربية الحديثة والمعاصرة

أهداف الدرس: أن يتعرف الطالب على أهم مكونات السيرة الذاتية في الرواية العربية.

وضع فيليب لوجون مجموعة من الخصائص "للكشف عن السيرة الذاتية التي تختفي تحت جنس الرواية، وقد حددها في الميثاق والتطابق"[1]:

1-الميثاق:

أ-الميثاق الروائي: "وعماده نفي التطابق بين اسم المؤلف على الغلاف واسم الشخصية في النص، وسناده الاقرار بالطابع التخيلي للنص، كأن يذكر في عنوان فرعي أن الكتاب رواية"[2]؛ أي التصريح الكاتب للقارئ بأن ما يتلقاه هو عمل تخييلي.

ب-الميثاق السير الذاتي: "وهو أهم محدد للسيرة الذاتية"[3]؛ إذ هو "يحدد هوية النص إذا ما كان سيرة ذاتية من خلال ما ورد في النص ذاته، دون الاستعانة بعوامل خارجية لإثبات ذلك، فوجوده يحقق التطابق بين المؤلف والسارد والشخصية الرئيسية، مما يضع النص ضمن جنس السيرة الذاتية، وتتمثل أهميته في كونه اتفاقا يعقده المؤلف مع القارئ وبموجب هذا الاتفاق يوجه القارئ وتحدد طبيعة قراءته"[4]، وهو في ذلك –الميثاق السير ذاتي– "قد يأتي مباشرا أو ضمنيا في بداية النص أو نهايته أو يرد أحيانا مبثوثا يتخلل النص"[5].

وتجدر الإشارة هنا إلى وجود العديد من الإشارات التي تشبه الميثاق وتظهر في:

***العنوان:** "يشكل العنوان عنصرا أساسيا في النص لتعدد وظائفه، فهو بؤرة تشويقية للقارئ ومفتاح يساعد للولوج إلى عالم النص، إلى جانب هذا يعتبر من الثوابت المهمة لجنس السيرة الذاتية، الذي يوحي بأن كاتبها يروي قصة حياته"[6]؛ فهو يكتسي أهمية كبيرة في فهم النص وتحديد هويته.

***الإهداء:** "يمثل الإهداء بوصفه عنصرا من العناصر الموجهة للنص السير الذاتي عتبة نصية مهمة تسهم في إضاءة النص، وتشير بشكل مباشر ولاسيما في نص يمثل سيرة الكاتب الذاتية"[7]؛ فهو في السيرة الذاتية يحظى بأهمية كبيرة لأنه يسهم في توضيح معالمها.

***المقدمة:** "تعتبر... من بين العتبات النصية المهمة في توجيه قراءة المتلقي وتدعيم الميثاق المنعقد"[8]، ويبرز ذلك من خلال تصريح الكاتب في مقدمته أن عمله هو سيرة عن حياته .

2-التطابق بين المؤلف والسارد والشخصية:

يشكل "التطابق الشرط الأساسي الثاني عند لوجون حيث يعد بعدا إجرائيا حاسما للكشف عن درجة اشتراك المؤلف في نصه"[9]، ذلك أنه لكي "تكون هناك سيرة ذاتية يجب أن يكون هناك تطابق بين المؤلف والسارد والشخصية"[10]، حيث نلمح "هذا التطابق واضحا جليا في النصوص التي يصرح فيها صاحبها بأنها سيرة ذاتية، أما الكتاب الذي يحمل إشارات تؤكد أننا بصدد تخييل فتوجه القارئ منذ البدء على تلقيها باعتبارها رواية، غير أن القارئ العارف بحياة الكاتب يجد نفسه أمام نص من تلك النصوص"[11] التي عبر عنها فيليب لوجون بالنصوص التي يعثر فيها القارئ على دوافع انطلاقا من "التشابهات التي يعتقد أنه اكتشفها، أن هناك تطابقا بين المؤلف والشخصية في حين أن المؤلف اختار أن ينكر هذا التطابق أوعلى الأقل اختار أن لا يؤكده"[12]، ولعل من بين الأساليب التي تحيل على التطابق بين المؤلف والسارد والشخصية الرئيسية نجد ضمير المتكلم، الذي يعد أحد العناصر المهمة التي يتم من خلالها تحقيق هذا التطابق، كما يمكن من خلاله معرفة هوية النص السير

ذاتي حيث "تعرف السيرة الذاتية بضمير المتكلم (أنا) الذي يحيل على الذات مباشرة، ويصهر كل من الراوي والكاتب في بوتقة واحدة. كما يمكن أن تروى بضمير الغائب (هو) فيتم التطابق بطريقة غير مباشرة، وذلك بإقامة المعادلة المزدوجة: المؤلف=السارد، والمؤلف= الشخصية، إذا السارد=الشخصية"[13]؛ أي أن التطابق بين المؤلف والسارد والشخصية الرئيسية إما يتم بطريقة مباشرة عن طريق ضمير المتكلم (أنا) أو بطريقة غير مباشرة عن طريق ضمير الغائب(هو).

ويظهر اتحاد المؤلف والسارد والشخصية الرئيسية أيضا من خلال:

"**1-الذاكرة:** ترتبط السيرة الذاتية بالماضي، وهذا الارتباط إنما هو ارتباط الكاتب بماضيه، لتكون لحظة الكتابة لحظة استذكار واستحضار وبوح بالمدفون بكل العواطف والانفعالات التي كانت في زمنها البعيد، ولعل أشد الذكريات التصاقا بالنفس ذكريات زمن الطفولة،... لتكون الذاكرة فيها على نوعين: نفسية ومكانية:

*ذاكرة نفسية: وهي المتعلقة بالعواطف والانفعالات"[14]،التي أثرت في شخصية الكاتب وبقيت راسخة في ذهنه، يحاول دائما استرجاعها.

"*ذاكرة مكانية: وهي المتعلقة بالمكان، إذ يلعب المكان في نصوص السيرة الذاتية دورا هاما في تكوين مرجعيات الذات التي تحكي تجربتها، ومن ثم قربها من الواقع، إنها استعادة لحيوية ذاكرة تبحث عن لذاتها الحميمة وتستلها من ذاكرة المكان.

2-المونولوج: وهو حوار داخلي يدور بين الشخصية وذاتها، يسعى من خلاله الراوي إلى استنطاق بؤرة سيرته الذاتية في واقعها الباطني وهذا ما ينتج فرصة أكبر للتجلي والكشف والاعتراف بالحرية ومن جهة ترميم قفزات الذاكرة وفجواتها"[15].

ما نستشفه من خلال ما سبق أن المكون السير ذاتي يبرز في الرواية العربية من خلال عنصرين مهمين وهما الميثاق السير ذاتي والتطابق الذي يحدث بين كل من المؤلف والسارد

والشخصية الرئيسية فهذه العناصر تشكل محورا أساسيا يعرف من خلالها هوية الجنس السير ذاتي، هذا إضافة إلى أساليب وعناصر أخرى شكلية تساهم في معرفة الجنس السير ذاتي لعل منها: العنوان، الإهداء، المقدمة، الذاكرة (نفسية/مكانية)، المونولوج.

الهوامش:

[1]–حليمة بولحية، تمظهرات السيرة الذاتية في الرواية الجزائرية "طيور في الظهيرة"، "البزاة" لمرزاق بقطاش نموذجا، مجلة ، مقاليد، العدد: 7، ديسمبر 2014، ص: 108.

[2]–شكري المبخوت، سيرة الغائب سيرة الآتي (السيرة الذاتية في كتاب الأيام لطه حسين)، دار الجنوب للنشر والتوزيع، تونس، 1992، ص: 15.

[3]– محمد آيت ميهوب: الرواية السير ذاتية في الأدب العربي المعاصر، تقديم: محمد القاضي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، (عمان – الأردن)، ط1: 1437هـ–2016م، ص57.

[4]–سامر صدقي محمد موسى، رواية السيرة الذاتية في أدب توفيق الحكيم (دراسة نقدية تحليلية)، إشراف عادل أبو عشمة، (رسالة ماجستير) ، جامعة النجاح الوطنية، نابلس–فلسطين، 2010، ص: 58.

[5]– حليمة بولحية، تمظهرات السيرة الذاتية في الرواية الجزائرية "طيور في الظهيرة"، "البزاة" لمرزاق بقطاش نموذجا، ص: 108.

[6]–المرجع نفسه، ص: 108.

[7]– المرجع نفسه، ص: 109.

[8]– ساميا بابا، مكون السيرة الذاتية في الرواية حكايتي شرح يطول لحنان الشيخ، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان–الأردان، ط1: 1433هـ–2012م، ص: 116.

[9]– حليمة بولحية، تمظهرات السيرة الذاتية في الرواية الجزائرية "طيور في الظهيرة"، "البزاة" لمرزاق بقطاش نموذجا، ص: 109.

[10]– فيليب لوجون، السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، تر: عمر حلي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1994، ص: 24.

[11]– حليمة بولحية، تمظهرات السيرة الذاتية في الرواية الجزائرية "طيور في الظهيرة"، "البزاة" لمرزاق بقطاش نموذجا، ص: 109.

[12]– فيليب لوجون، السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، تر: عمر حلي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1994، ص: 37.

[13]– حليمة بولحية، تمظهرات السيرة الذاتية في الرواية الجزائرية "طيور في الظهيرة"، "البزاة" لمرزاق بقطاش نموذجا، ص: 110.

[14]–المرجع نفسه، ص: 111.

[15]–المرجع نفسه، ص: 112–114.